»فينيسـيا« روايــة إلكسـندر نجــار التاريخيــة هُزمــت فينيقيــا مــن الداخــل

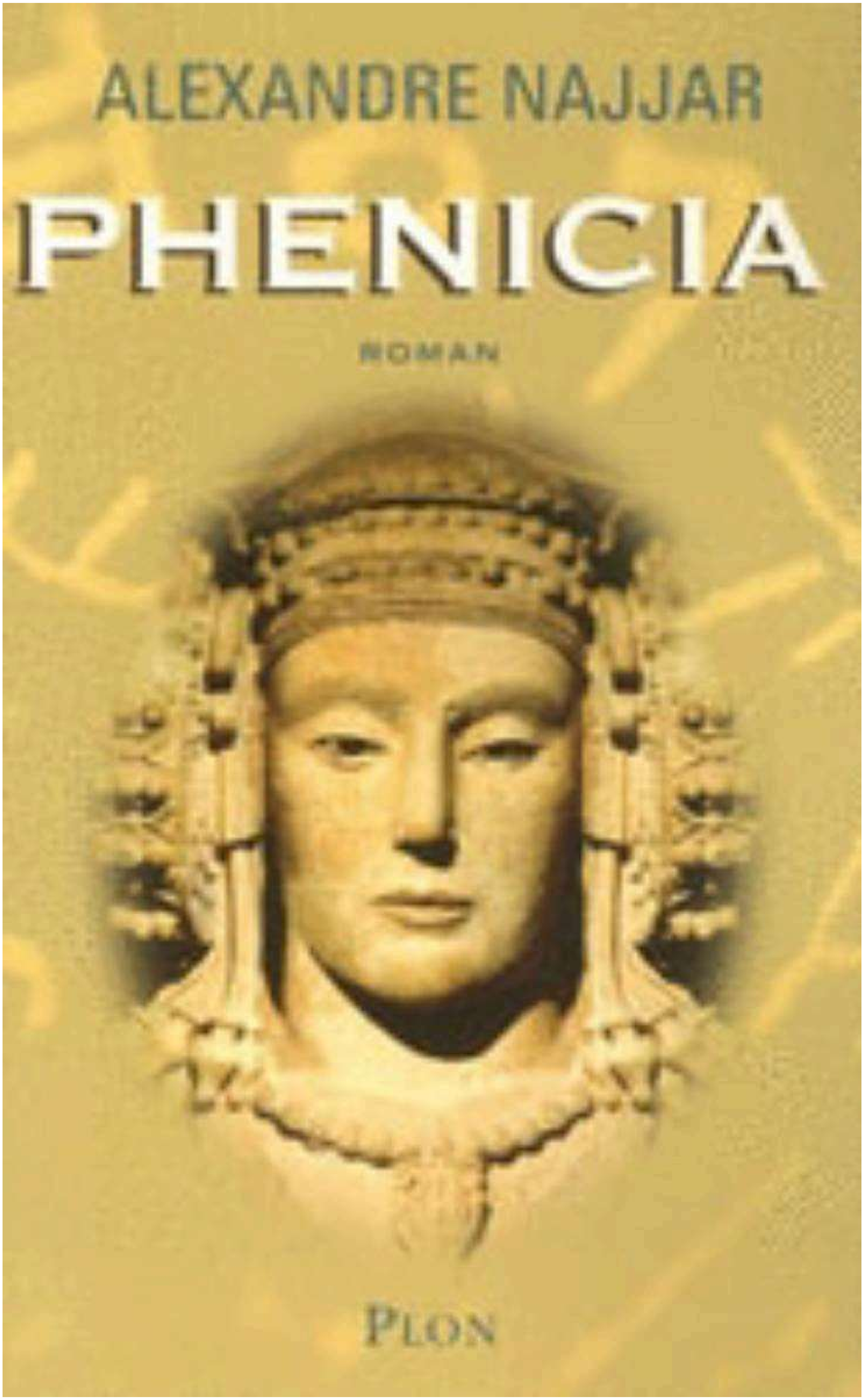
ALEXANDRE NAJJAR
PHENICIA
ROMAN
PLON

المؤلف: زوين صباح الخراط

التاريخ: 04-07-2008
رقم العدد:11040

في كل كتاب جديد للروائي الكسندر نجار نجد حكاية جديدة، احيانا لا نعرف عنها شيئا فنستمتع بالاكتشاف كما مثلا وليس حصرا في مؤلفه »وكيل الامبراطور« الذي صدر سنة 2001 عن منشورات بالان في باريس، وأحيانا اخرى نعرف شيئا ضئيلا عنها فيأتينا ببقية التفاصيل وبأعماقها، فنستمتع بها كاملة عبر حبكة روائية ماهرة، تمزج بين التوثيق والخيال دون ان تدع القارئ يشعر بأن ثمة خللا بينهما، كما مثلا في مؤلفه الأخير »فينيسيا« الصادر عن منشورات بلون الفرنسية. ومتعة القراءة تنبع في كل مرة من سلاسة السرد وفي الوقت ذاته من متانة اللغة المتبعة.اضافة الى جودة الفرنسية لدى نجار وهذا ربما من النافل ذكره، نقع على ليونة التسلسل في الأحداث فلا يمكننا العثور على اي محطة قد تشير الى ان هذا الخبر او تلك المعلومة قادمة من وثيقة او من كتاب تاريخ... الخ.يواكب اذن الكاتب نجار احداث رواياته التاريخية عبر خيوطها الكثيرة والمتداخلة، بدقة الفنان ورهافة الروائي، مستعينا قبل كل شيء بمخيلته، وهو الخبير في هذه اللعبة، والمتمرس في هذا الحقل الكتابي، هذا النوع الأدبي الذي ينطلق من حدث تاريخي واقعي ليعالجه بدقة حتى يصبح هذا الحدث التاريخي، رواية حقيقية.انها قصة الفينيقيين، وعنوان الكتاب اوضح دليل على ذلك، بل هي قصة الشعب الفينيقي يسردها الفيلسوف زينون على تلميذه ابولونيوس. زينون الذي ولد ونشأ في مدينة كيتيون القبرصية ومات في اثينا حيث تتلمذ على الفلاسفة الإغريق ثم بدوره انشأ مدرسة للفلسفة، زينون اصله من جهة الأب من صيدون وقرطاجة، ومن صور من جهة الأم، والوالدان اتيا الى كيتيون هربا من دمار صور التي شنّ عليها الإسكندر المقدوني حربا شرسة ولم ينج منها لا البشر ولا الحجر. فرأت والدته إليسّا ووالده مِنسّى ان يغادرا مدينة صور التي ولا شك، كما قال حكيم (وهو في الوقت ذاته طبيب وعالم) المدينة أليبعل، ان بعد دخول المقدوني وجيشه ستكون حتما نهاية حضارة صور الفينيقية وان عصرا انتهى وآخر بدأ، الأمر الذي جعل هذا الحكيم يتخذ قرار الانتحار. فمات من مات ومن استطاع هرب الى مدن اخرى. آثر منسى الفينيقي القرطاجي وإليسا الفينيقية الصورية تسمية مولودهما زينون، وهو يعني »الغريب«، وهي كلمة مشتقة من اليونانية »كزينوس«. وعلى الرغم من ان زينون لم يرَ اطلاقا مدينته الفينيقية، فهو لم ينكر اصله يوما وأصرّ على سرد قصة عائلته لأبولينوس الفينيقي -

الأثيني، وهو أحد تلامذته الذي اصبح فيلسوفا من بعده في اثينا.بُعد معرفي وعلى الرغم من اعتبار اثينا بلده ايضا، فلم يتوان عن الموضوعية وإظهار عيوب هذا الشعب الذي عمل على نشر حضارته ولغته في المدن الفينيقية التي احتلّها، وذلك على حساب اللغة والحضارة الأصليتين. اضافة الى ذلك اجتهد الإغريق، بحسب الراوي، في اخفاء مقدرة الفينيقيين في مجالات عدة والترويج عنهم انهم ليسوا اكثر من بحارة مخادعين.لا شك في ان نجار استند الى مراجع وفيرة، كما دائما يفعل، اثناء قيامه بمشروع كتابة هذه الرواية التوثيقية. لكن، كما يقول في المقدمة على لسان زينون وهو يتكلم الى ابولونيوس: »اني احذرك: اذا خانتني ذاكرتي ـ التي لا تزال جيدة على الرغم من ثقل السنين ـ فسوف استنجد بمخيلتي. لأن المخيلة هي ايضا مصدر معرفة «.هكذا اذن، يمكننا نحن ايضا اعتبار هذه الرواية آتية من الوثائق التاريخية كما من جهد الخيال لدى الكاتب. انها تاريخ ممزوج بالبعد المعرفي والتحليلي للأحداث في ذهن نجار. وأهم ما في هذه الرواية، هو انها تحيلنا تلقائيا ولاإراديا الى لبنان اليوم، لبنان المعاصر في انقساماته وحروبه وعدم تكاتف ابناء المدن المختلفة مع بعضها عند المصاعب والحروب. كان لبيبلوس وصيدون الضعيفتين امام قوة المقدوني ان تخضعا له، وكان لصور ان تلحق بهما اثر هزيمة جارحة.الا ان هزيمة صور الأساسية اتت من الداخل، من قِبل زكربعل، وهو احد الجنرالات المتقاعدين الذي لا يعرف زينون الحكيم كيف استطاع ان يجمع كل هذا الحشد من الصوريين، مخاطبا اياهم بالشعب المجيد، وراسما لهم خططا سياسية وهمية تعاكس خطط الملك ازيملك والقائد جربعل وهما المسؤولان الشرعيان لصور (وهو عم اليسا ايضا). ما ادهش اذن عقلاء صور وزينون في ما بعد، هو انهم لم يفهموا كيف استطاع زكربعل ان يحوّل كل هذا الجمهور الكبير الى قطيع يصدقه في كل ما يقول دون ان يروا ان كل هدفه كان الإطاحة بالملك ليتربع على العرش مكانه، بعيدا كل البعد عن الشعارات شبه الوطنية التي كان يطلقها. والأحداث اثبتت ذلك، اذ بعد هزيمة صور واستسلامها للمقدوني، هرع زكربعل اليه قائلا له :» سيدي، انا زكربعل. انا من كنت اتعاون معك لإضعاف الوحدة والتماسك الداخليين«. فاستهزأ به الإسكندر سائلا اياه عن هدف الزيارة. وكان للجنرال ان ردّ: »جئت لأطلب منك ان تكافئني وتضعني على العرش مكان الملك ازيملك«. فكان رد المقدوني: »انك خدعت شعبك، فكيف تجرؤ على المطالبة بالعرش. اغرب من وجهي . لستَ اكثر من وصولي مبتذل«.الشقاق حليف العدووتابع زينون حكايته قائلا لأبولونيوس ان ما يحصل من مآس وحروب ودمار وتهجير في المدن الفينيقية وبشكل خاص ما حصل في مدينة صور ليس من باب الصدفة، وان كل هذا الشقاق هو اهم حليف للعدو، والعدو هو

الذي زرع الفتنة والشقاق في ما بين اهالي صور من ناحية، ومن ناحية اخرى بين اولئك واخوانهم في صيدا وبيبلوس وغيرهـما، من اجـل السيطرة عليهم جميعا.لا شك في ان رواية الكسندر نجار تمجيد واضح للوحدة والتضامن من خلال تاريخ يبدو انه يعيد نفسه للأسف، كأن المعطيات ذاتها سادت قبل آلاف السنين الى اليوم، على الرغم من ان هذه ليست غاية الكتاب، اي التذكير.فغايتــه في ذاتــه، الا وهي المنجز الروائي كعمل فــني ناجح، حــيث ثمـة قبل كل شيء، متـعة القـراءة.

البحث في الأرشيف الكامل لجريدة "السفير"

الكلمات الدالة

نجار الكسندر | القصة العربية (باللغة الفرنسية) | لبنان | الكتب | المراجعات

شروط الإستخدام

جميع الحقوق محفوظة، شركة السفير ش.م.ل

للتواصل معنا archives.assafir.com